tفريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

برنامج " مجالس القرآن سورة الأعراف "

الدرس السادس الآيات ٣٢- ٤٣

(باللهجة المصرية)

لفضيلة الشيخ: أحمد عبد المنعم

رابط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-128049.htm

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، صلَّى الله عليه وسلم-، نستكمل بإذن الله -عز وجل- ما بدأناه من وقفات مع سورة الأعراف.

كنا توقفنا عند قوله -سبحانه وتعالى- عند آية ٣٢، طيب قبل ما نبدأ ونتكلم في نفس الآيات اللي توقفنا عندها، مراجعة سريعة كده على المعنى، أو المعاني اللي ذكرناها المرة الماضية وخاصةً إن كان جزاه الله خيرًا يعني الدكتور حازم أشار إليها في بعض الوقفات، طبعًا شرف لينا كبير أن الدكتور حازم يحضر معانا يا جماعة الدرس، هو صاحب فضل علينا طبعًا في تفسير القرآن، جزاه الله خيرًا يعني، من أول بعد والدي، أول من شد أذري في قضية القرآن ودفعني للإهتمام بالقرآن فجزاه الله عني خيرا.

مداخل الشيطان تختلف من حالة لأخرى

فكان أشار إلي بعض الإشارات في مسألة إزاي إن الشيطان ينوع المداخل على حسب حالة الشخص، فممكن مثلًا مسألة الشُبهة القدرية، "مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ" الأعراف: ٢٠، الشهبة القدرية أو الشبهة الشرعية أن ليه ربنا يقول لنا نعمل كذا، وليه ربنا يقدر كذا، أن الشُبهة دي ممكن تؤدي بالإنسان لو استمرأ الوضع واستمر مع هذه الشُبهة، ممكن تؤدي -والعياذ بالله- إلى سوء ظن بالله، والخروج من الدين أصلًا، قد يتهم الإنسان بجهله، قد يتهم الرب -سبحانه وتعالى-، فده مدخل ممكن الشيطان يدخله مع الناس اللي بعيدة شوية.

طب الناس بدأت تدخل الدين وبدأ يبقى فيه طاعات، ممكن ينوع المدخل إن هما يخليهم يقعوا، أن الشيطان يجعل الناس يقعون في الفحشاء، ده الناس اللي دخلت الدين بس لسه مش متمكنة جدًا من الدين أو مش عاملة لدين الله -عز وجل- فممكن يجعلهم يقعوا في المعاصي، أن فيه تطور يعني الشيطان له مداخل على حسب كل الأشخاص اللي بيتعامل معاهم، النوع الثالث من الناس، الناس اللي بتعمل للدين، الناس اللي قاعدة في المساجد، قلنا أن هما ممكن نخليهم يعملوا المعصية نفسها داخل المسجد، أن التعرِّي كان داخل الطواف، داخل الكعبة، "وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ" الأعراف: ٢٩، كان الآية ٢٩ الدكتور حازم ذكر معنى، أن ده ممكن يشير إلى قضية التعصُّب، كل واحد يتعصَّب إلى مسجده هو، لكن ربنا بيقول "وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ".

لا تُعظِّم مسجد معين وتخصه طالما لم يخصه الله

المعنى اللي أشـــار له الدكتور حازم وجدت أن بعض الســـلف أشـــار له بالفعل، اللي رجحه مروي عن ابن عباس والضحَّاك واختاره ابن قتيبة، إن من معاني هذا اللفظ إن "إذا حضرت الصلاة فليصلي أحدكم في أي مسجد لا يقولن لا أصلي إلا في مسجدي"، وبعضهم قال إن لما أنت تكون بتمر بجانب مسجد، أو مسجدك اللي جنب بيتك أنت لا تريد الصلاة فيه وتريد الصلاة في مسجد آخر يفضل إنك أنت لا تخص المساجد بنوع من التعظيم، طالما لم يخصها الله –عز وجل– وأنك تصلي في أي مسجد، لأن المساجد إنما جُعلت لتجمع المسلمين في صلاة الجماعة وصلاة الجمعة، المسجد الجامع الكبير في صلاة الجمعة، والمساجد عامة في صلاة الجماعات.

جُعلت المساجد لإقامة الوجوه لوجه الله –سبحانه وتعالى– وألا ندعو مع الله أحدا، ولنجتمع فيها، فلا يجوز ولا ينبغي أن نجعل المســاجد من أســباب التفرُّق، يقول لك ده مســجد بتوع فلان، وده المســجد بتاع الجماعة الفلانية، فتلاقي الناس لا يصلون في المساجد، أصبحت المساجد من أسباب التفرقة، بدل ما تجمعنا المساجد أصبحت المساجد أحيانًا تفرقنا، فإن الشيطان ممكن مش يلعب على وتر الفاحشة أو وتر الشهوة، لا ممكن يلعب على وتر مشاعر الغضب، وإن هو يتعصّب لشخصه أو لشيخه أو لجماعته، أو لمذهبه، أن هذا التعصُّب لابد أن ننفيه بين المسلمين، ولا سيِّما في المساجد، إنما جُعلت المساجد لتجمعنا على الخير، لتجمعنا على الطاعة.

إقامة الوجه عند كل مسجد تكون سبب للإخلاص

قال ربنا –سبحانه وتعالى– "وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ"، يبقى القضية مش بس الإخلاص وإقامة الوجه، احنا قلنا مسألة إقامة الوجه أن يكون الوجه خالصًا لله –سبحانه وتعالى–، لأن احنا عندنا في القرآن يُسلِم وجهه، ويقيم الوجه، "إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ" الأنعام: ٧٩، توجيه الوجه، وإسلام الوجه، وإقامة الوجه، كل ده أن الوجه يكون خالصًا لله –سبحانه وتعالى– فهنا الإقامة من معاني الاستمرار والدوام، أن يكون الوجه خالصًا لا يلتفت الإنسان لغير الله – سبحانه وتعالى– من معاني الثبات على الإخلاص، فربنا مقلش "وأقيموا وجوهكم عند المســجد"، قال "وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ"، فمسألة إقامة الوجه بتفيد الإخلاص، "عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ"، هي دي اللي بتنفي التعصُّب، "وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ"،.

أسباب نزول آية " يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ"

أيضًا في " يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ" الأعراف: ٣١، مسألة أن الإنسان يتعامل مع الطاعات بتفخيم واحترام أنه يعظِّم هذه الطاعات، فيأتي متزينًا في أماكن الطاعة، وزي ما قلنا أن في ناس لم يكن عندها تصــور كيف يكون الجمع بين الطاعة والتزين، يعتقدون أن الطاعة دائمًا ملازمة للتقشــف والزهد والجوع والعطش، لكن أحيانًا هذه الأشياء تجعل الإنسان يضعف عن الطاعة، الجوع والعطش أحيانًا تجعل الإنسان يضعف عن

الطاعة، أحيانًا يريد أن يتقوَّى ليفعل الطاعة، فيدخل الشيطان يقول له إيه سيب الطعام وسيب الشراب، فيضعف أساسًا عن فعل الطاعة وهو الزاد الذي يكون له لفعل الطاعة.

أيضًا من الأسباب العجيبة جدًا اللي قرأتها في أسباب نزول هذه الآية، طبعًا المشهد كله بيتكلم على قضية التعرّي في الطواف، وإن إزاي الشيطان نجح في المعركة الأولى مع أبينا آدم في قضية الأكل من الشجرة، مما أدى إلى التعرِي وإزاي أنه نجح مع المتأخرين أنه جعل التعرّي حتى داخل الطاعة، فالمروي في أسباب النزول الأشهر "يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ"، رد على من يطوف عُريانًا، أن لما هما طافوا عُراة فنزلت هذه الآية رد عليهم وأن لا نقلدهم.

مراحل تطور المعصية

في بعض أسباب النزول وفي نفس السياق أيضًا إن هما لما طافوا عُراة فأعرض عنهم المسلمون، وكانوا يطوفون في ثيابهم، المسلمون لم يقلدوا أهل الشرك فكانوا يطوفون في ثيابهم، يأخذوا الزينة ويطوفون في ثيابهم، فإيه اللي حصل؟ فعيَّرهم المشركون، أنت متخيل احنا قلنا التطور، إن الأول كانت فاحشة، بعد كده أصبح أمر مجتمعي مقبول وجدنا عليه أبائنا، بعد كده أصبح دين، وبعد كده أصبح اللي بيخالف الفاحشة هو اللي بيُعيّر، يعني تخيل أن وهما قاعدين كده في المسجد، وبعدين واحد نزل يطوف متزين ولابس ثيابه فيقولوا شوف شوف، والله العظيم بيطوف وهو لابس ثيابه حوالين الكعبة؟ يقعدوا يتريأوا عليه، وممكن بقى المسلم يحس بنوع من الضغط النفسي، يقعد يبص طب أنا إيه اللي أنا عامله غلط، يعني أنا عشان بطوف في ثيابي غلط.

مهاجمة الدين وكيف نواجه هذا الهجوم

تخيل ممكن الضغط النفسي اللي يعملوه ويستهزأوا به، لا حول ولا قوة إلا بالله، يطوف وهو لابس الثياب اللي عصى ربنا فيها، فتخيل ممكن الضغط ممكن يخلِّي الناس تستجيب لهم، كما أصبحنا الآن نرى أن الناس تستهزيء من المنقبة وتُمنع، وأن اللي يستهزيء بها ممكن إمرأة هي أصلًا متبرجة في قمة التبرج، وهي تستهزيء بالمنقبة، بل أحيانًا كلما ازدادت المجتمعات نوع من الرقي الدنيوي والتقدم الدنيوي تزداد تعيير للمنقبات، وما يحدث الآن في الدول الأوروبية وغيرها ببعيد عنا، مسألة حرب النقاب وفرنسا ومنعها للنقاب ومهاجمة المنقبات، وفي الآن حرب شرسة وأسئلة كتيرة بتأتي للدعاة والمشايخ من منقبات وما يعانونه في الخارج وهل تخلع النقاب، من سبب الضغط الذي تتعرض له.

لا يمكن التنازل عن كل جزئية في الدين

فإذًا ينبغي أن نقابل هذه الهجمة بتعظيم النقاب، نعم في هجمة شرسة سواء في الداخل أو في الخارج على قضية النقاب، إذًا لابد أن نواجه هذه الهجمة بتعظيم النقاب، فيه فارق بين الفتوى الخاصة لأخت من الأخوات بتمر بضغوط معينة لا تستطيع أن تتحمل قضية النقاب فيُفتى لها بخلع النقاب في أضيق الأُطر، وبين أن ده يكون طرح عام، فيهول وتهون قضية النقاب عند الناس وعند المجتمع، فإذًا لابد كل هجمة على جزئية، لأن مش كل جزئية لو قلنا حتى

بالاستحباب، مش كل جزئية يتم مهاجمتها في الدين يتم التنازل عنها بكل سهولة، إذًا ماذا سيبقى من الدين، ولا سيّما أن ده مدخل أساسي عند الشيطان، هو لا يريد فقط خلع النقاب، هو يريد أن تستمر الأمر إلى التعرّي حتى عند الكعبة.

فإذًا قضية أن أحيانًا بيحصل ضغط نفسي على الناس، في حين أنها لم تخطيء هي تريد أن تنتقب، يعني هي من حريتها أن تفعل ذلك، ليه بنخلي المجتمع يضعها تحت ضغط وكأنها مجرمة ولابد أن تجعل ما تفعله مسوّغًا، وتطرح مسوغات لما فعلت، كما الضغط اللي كان بيحصل على المسلم اللي بيطوف حول الكعبة وهو بثيابه، بيعملوا عليه ضغط كيف تطوف بثيابك حول الكعبة، احنا قلنا أحيانًا وده ذكرناه في تفسير سورة الأنعام، أن أحيانًا المجتمع بيفرض قواعد معينة ليس لها أصل في الشرع، تجعل الإنسان يجد في صدره حرج من أشياء هي مباحة أصلًا، يعني في سورة الأنعام ممكن واحد يقتل نعمة الله –عز وجل– الذي أعطاها له رُزِق ببنت، يقتلها وهو سعيد أنه يتخلص من هذه البنت، تخيل يعني بيسود وجهه إذا رُزِق ببنت، ويعني يفرح إذا تم التخلص من هذه النعمة، من هذه البنت، ليه ده حصل؟ بسبب الضغط المجتمعي اللي حصل أن أصبحوا سفهاء وزين لهم الشياطين قتل أولادهم.

لابد أن نواجه الضغوطات التي تغير الشرع

فإذًا أحيانًا المجتمع يعمل نوع من الضغوطات لا نسمح لهذا أن ينتشر المفروض نواجه هذه الضغوطات، طالما هذا الضغط يحلل حرامًا أو يحرم حلالًا لابد أن ندفعه، أن يقوم أهل الدين بمدافعة هذا الضغط حتى يصبح الأمر مُستساغًا مرة أخرى، أن خلاص أن المنقبات أصبح أمر مقبول مجتمعيًا لابد أن يحدث مدافعة، نوع من أنواع المدافعة لكل أمر من أوامر الشريعة، إذًا نزل قوله –سبحانه وتعالى– في ما روي عن بعض السلف، "قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ" الأعراف: ٣٢، كيف تحرمون عليهم لبس الثياب عند الطواف من حرم ذلك؟ "مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ"، أخرجها لهم لعباده وليعبدوه بها، " وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ".

ثم قال ربنا –سبحانه وتعالى– ليس الحرام ما تقولون ولكن الحرام هو الذي حرمه الله –عز وجل– "قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ" الأعراف: ٣٣، يبقى إذًا ده نموذج مثالي لأهل الدين أو لبيان يقوم به أهل الدين حينما يحدث تدليس لأمر من الأمور، كما قلنا في المرة الماضية حينما يحدث خلط بين الشعيرة؛ قضية الطواف وبين نوع من المعاصي، أو الشركيات، وضع إيساف ونائلة على الصفا والمروة، أو الطواف عُريانًا، ما يقوم به أهل الدين في هذه القضية، التبيين، الفصل، التمييز، التوضيح، فهنا جاء التوضيح، "إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ" رقم ١ الفواحش "مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ"، أيا كان نوع الفاحشة سواء يطوف عريانًا أمام الناس، أو في نوع من الفاحشة في الخفاء، كما قيل إن هو الزنا ما بطن الزنا، أو المتخذات أخدان.

كل معصية نهانا الله –عز وجل– عنها هي فاحشة

"حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ"، وكل معصية، القضية مش بس تبقى فاحشة، مش لازم المعصية تبقى فاحشة، كل معصية نهانا الله –عز وجل– عنها حتى لو لم تظهر لنا في صورة فاحشة ومُستنكرة، طالما أن الله –عز وجل– نهى عنها هي معصية، ويأخذ الإنسان عليها الإثم، "وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ"، هنجد بعض العلماء هنا بيقول هنا أن فيه نوع من الترقّي في المعاصي، الفواحش ما ظهر منها وما بطن وبعدين عموم الإثم، وبعدين الأعلى من الإثم البغي، الظلم، وإن ظلم الناس أحيانًا أشد بكثير من معصية في خاصة نفسه، "وَالْبَغْيَ"، يعني بدأ بالإثم اللي هو المعصية في خاصة نفسه، ثم البغي الذي يستطيل على الناس، يأخذ أموالهم، يأكل أرزاقهم.

الشرك هو أشد أنواع البغي

"وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ"، ثم بعد ذلك من حقوق الناس إلى حقوق الرب، قضية حق الله –سبحانه وتعالى– من الكلمات المهجورة الآن التي لا نتكلم عنها، في حين أن النبي –صلَّى الله عليه وسلم– "سأل مُعاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟"[1] نحن نتكلم عن حق العباد دائمًا، عن حقوق البشر، لا نتكلم عن حق رب البشر علينا، وعلى الناس، "وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا "، فهذا هو أشد البغي وأعظم الإثم أن تشرك بالله ما لم ينزِل به سلطانا، ثم أشد من ذلك أن تضع نفسك مقام الرب وأن تُشرِّع، "وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ"، ده أشد جريمة أن يضع الإنسان نفسه مكان الملك –سبحانه وتعالى–، مكان الرب، ويضع تشريع ويُلزِم به الناس، وأن يتقول على الله، بل وأن ينسب إلى الدين ما لم يتكلم به الله، وينسب إلى الدين ما لم يُنزِله الله –عز وجل–.

"وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ"، لأن هما قالوا إيه؟ هما عملوا كل حاجة، هما عملوا الفاحشة، وبغوا على المسلمين، ثم نسبوا هذه الفاحشة إلى الله ووضعوا الأصنام في الكعبة، هما عملوا كل ده، عملوا الشرك، ونسبوا الفاحشة إلى الدين، وقالوا "وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا"، هما عملوا كل هذه المنظومة، فجاء النهي التفصيلي عن كل ما فعلوه، "وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ"، وهي الأكبر وهي الكبيرة و–العياذ بالله–.

الله –سبحانه وتعالى– لا يعاجل بالعقوبة

ثم قال ربنا –سبحانه وتعالى–، أحيانًا أنت لما تسمع ده، تسمع إن هما عملوا الشرك، والطواف عُراة، أنت ممكن على طول تستعجل تقول طب ما العذاب هينزل عليهم بقى، يتخسف بيهم الأرض، لأن الإنسان عنده نوع من العجلة، بمجرد ما تحصل معصية، الإنسان عايز إن الله –عز وجل– يعاجل الظالمين بالعقوبة، لكن هذا ليس من سنته –سبحانه

[1] "كُنْتُ رِدْفَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ علَى حِمارٍ، يُقالُ له: عُفَيْرٌ، قالَ: فقالَ: يا مُعاذُ، تَدْرِي ما حَقُّ اللهِ علَى العِبادِ؟ وما حَقُّ العِبادِ علَى اللهِ؟ قالَ: قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: فإنَّ حَقَّ اللهِ علَى العِبادِ أنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ، ولا يُشْرِكُوا به شيئًا، وحَقَّ العِبادِ علَى اللهِ عزَّ وجلَّ أنْ لا يُعَذِّبَ مَن لا يُشْرِكُ به شيئًا، قالَ: قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، أفَلا أُبَشِّرُ النَّاسَ، قالَ: لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا." صحيح مسلم

وتعالى-، "وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ" الأعراف: ٣٤، كل أمة قدر الله -عز وجل- ليها أجل في نزول العذاب، كل فرد له أجله الخاص لوحده، وكل أمة -مجموعة معينة اجتمعت على فكرة معينة، ونصرت قضية معينة دي أمة- ممكن ينزل عذاب استئصالي لهم وده هذا الأمر خلاص توقف من بعد بعثة موسى -عليه السلام-، ونزول الكتاب على موسى-عليه السلام- كما روي في بعض الآثار عن النبي -صلَّى الله عليه وسلم- إن من بعد نزول الكتاب مفيش عذاب استئصال عام زي ما كان بيحدث في الأمم السابقة.

شرحت الأمر ده في مقدمة سورة الإسراء، في درس "لولا أن ثبتناك" من يريد الرجوع لتفصيل هذه القضية، وتقسيم المرحلة الزمنية من خَلق آدم إلى النبي -صلَّى الله عليه وسلم- إلى مرحلتين، سيدنا نوح إلى بعثة موسى دي مرحلة معينة، كان بيحصل فيها إهلاك الظالمين بطريقة معينة، ثم من بعد بعثة موسى ونزول التوراة والأمر بالجهاد، إلى النبي -صلَّى الله عليه وسلم- المعاملة مختلفة، لكن قد يكون عذاب خاص بأقوام وأن الإهلاك مش لازم يكون استئصالي، يعني بعضهم بيقول أن ما حدث لهم في بدر، نوع من أنواع العذاب الذي أنزله الله -عز وجل- عليهم، وكسر شوكتهم كما حدث في فتح مكة، فلكل أمة أجل لا تتعجل على نزول العذاب عليها، الله -عز وجل- يقدر ذلك.

معاملة الله للأمة تختلف عن معاملة الفرد

لأن كل أمة وأيضًا التفصيل ما بين معاملة ربنا للأفراد، ومعاملة ربنا للأمم، كنت ذكرته في الدرس الأخير من تفسير سورة فاطر، لمن أراد الرجوع أن لله -عز وجل- سُنن في معاملة الأفراد تختلف عن سُنن في معاملة الأمة، الأمة كمجموع ليها سُنن مختلفة، يعني الفرد ممكن ربنا يعامله معاملة، طب الفرد في وسط المجموع، يعني لما أم سلمة سألت النبي -صلَّى الله عليه وسلم- قالت" أنهلك" كمجموع "وفينا أفراد صالحون، قال: نعم"[٢] إذًا معاملة ربنا للأمة تختلف عن معاملة الفرد، قال "نعم إذا كثر الخبث".

كيف ننجو بأنفسنا إذا كثر الخبث؟

هؤلاء الأفراد الصالحون الذين يعيشون في مجتمع فاسد إذا بذلوا وسعهم يجعل الله -عز وجل- عليهم النار بردًا وسلامًا، لكن يؤاخذون مع المجموع ثم يُبعثون على نياتهم، لكن هذا البلاء الذي يعيشونه يشعرون وكأنهم في نار إبراهيم بردًا وسلامًا، ليه لأنهم بذلوا وسعهم، إذا لم يبذلوا وسعهم وقصروا، ينالهم ما ينال الآخرين من العذاب، لكن الحساب يختلف يوم القيامة بينهم وبين الآخرين، فمعاملة ربنا للأمة، غير معاملة ربنا للأفراد.

يجب أن نتبع الرسل ولا نخترع دينًا

[٢] "أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يقولُ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، ويْلٌ لِلْعَرَبِ مِن شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليومَ مِن رَدْمِ يَأْجُوجَ، ومأْجُوجَ مِثْلُ هذا، وحَلَّقَ بإصْبَعِهِ، وبالَّتِي تَلِيهَا فَقَالَتْ زَيْنَبُ فَقُلتُ يا رَسولَ اللَّهِ أنَهْلِكُ وفينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ إذَا كَثُرَ الخَبَثُ" صحيح البخاري

"وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ" الأعراف: ٣٤، بعضهم قال الألف والسين والتاء للطلب، يعني حتى لو طلبوا التأخير أو التقريب لا يُستجاب لهم، "لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ"، ثم الأمر الرابع "يَا بَنِي آدَمَ"، احنا قلنا ثلاث نداءات فاتوا وده الأمر الرابع "يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ" الأعراف: ٣٥، لماذا تلجأون إلى شريعة غير شريعة الله، أتتكم رسل من عند الله، ليه تطوفوا عُراة، ليه تخترعوا دين، ليه تقعدوا تخترعوا أشياء تتقربوا بيها إلى الله والله –عز وجل– أرسل إليكم الرسل، "يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي"، بعض العلماء قال كلمة يقصون بتفيد إيه؟ ممكن يتلون عليكم آياتي، بعضهم قال يقصون القصص من متابعة الأثر، فإنهم إليكم بآية وآية، وآيات متتابعات متتاليات.

كذلك أيضًا ينبغي على الداعية حينما يبلغ الناس الآية تلو الآية، آيات متتاليات مفصلات واضحات، حتى يتبع الناس ما ينزل إليهم من ربهم، بعضهم قال أن القصص التوصيل شيء كما هو تمامًا، إنك لما بتمشي على أثر واحد بتضع قدمك على نفس تقص الأثر، يعني واحد ماشي قدامك وشايف آثار وأنت تقص الأثر يعني تحط رجلك على نفس مكان الأثر، فإنهم بلَّغوا ما نزل إليهم من ربهم دون تغيير أو تحريفٍ أو تبديل، فكأن هنا إشارة أيضًا ينبغي على الدُعاة إلى الله، أن يبلغوا ما نزل إليهم من ربهم دون تحريفٍ أو تبديلٍ أو تغيير، "يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي"، فالله –عز وجل– شهد للرسل بالأمانة، أي آتاكم الدين كاملًا غير ناقص.

" يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ۙ فَمَنِ اتَّقَىٰ"، ما نهى الله –عز وجل– عنه وطبق شرع الله فبالتالي حدث الإصلاح " فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"، لاخوف عليهم فيما يأتيهم في المستقبل بعد الممات، أو في مستقبلهم في حياتهم، ولا هم يحزنون لو الكلام هنا لحظة الموت، ولا هم يحزنون على ما تركوه في الدنيا، لاخوف عليهم في المستقبل، ولا هم يحزنون عما تركوه في الدنيا،

قضية الاتباع وتكرار الآيات

أما الصنف الثاني لما أتتهم الرسل، "وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا" الأعراف: ٣٦.

احنا قلنا قضية لفظة الآيات متكررة كثيرًا جدًا في سورة الأعراف، وقلنا أكتر سورة تكرر فيها كلمة الآيات سورة الأعراف، وقلنا أن من محاور سورة الأعراف التعامل الخاطيء مع الآيات، أن فيه ناس كذبوا بالآيات، فيه ناس أعرضوا عن الآيات، فيه ناس استكبروا عن الآيات، فيه ناس جحدوا بالآيات، فيه ناس بعد أن آتاهم الله الآيات انسلخ من الآيات كل ده موجود في سورة الأعراف، التعامل الخاطيء مع هذه الآيات، لذلك أيضًا من الكلمات التي تكررت كثيرًا في نفس السورة قضية الاتباع، أن ينبغي أن نتبع الآيات، اتبعوا، تاني آية على طول أو ثالث آية "اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ" الأعراف: ٣، قلنا أن معانا طول السورة المحاور دي، عايزين دايمًا نستحضر هذه المحاور، وقضية الشكر، هنجد أن خمس أو ست محاور معانا طول السورة بيتكرروا.

هناك صنفين من الناس ينازعون الرسل والدُعاة

فهنا "وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا" الأعراف: ٣٦، مش عايز، هو مش بس كذب الآيات، هو لا يريد أن يسمعها، وهو متكبر عن الآيات، "وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا" الأعراف ٣٦: ٣٧، اللي افترى على الله كذبًا بعد الآية دي على طول أن في رسل بيقصوا على الناس الآيات، وهو عايز يحط نفسه في مقام الرسل ويشرّع آيات أخرى، ويضع آيات أخرى، فيقول الله –عز وجل– "فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ"، فيه صنفين هينازعوا الرسل، وبالتالي هينازعوا الدُعاة، الصنفين دول صنف هيخترع دين ويبلغه للناس، وصنف هيساعد الناس إن هما يكذبوا بالدين، زي بالضبط "وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ".

ظلم الناس في حق الله القضية التي لا يعرفها أحد

يبقى فيه صنفين من الناس في التعامل الخاطيء مع الآيات، إن هما يخترعوا آيات أصلًا يخترعوا دين، وأن يقولوا "وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا"، عن الفحشاء "وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا"، أو إن هما يساعدوا الناس على التكذيب بالدين، فربنا بيقول دول أظلم ناس، "فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ"، وهنا نسبة تبديل الشرع إلى الظلم قضية مهمة جدًا، أن الناس لما تيجي تتكلم تقول لك الظلم، والظلم الموجود، والظلم اللي بنعيشه الآن، والكل يذوق ويلات الظلم، ولا يتكلم أحد عن ظلم الناس في حق الله، وإن الظلم الواقع علينا أساسًا تنحية الشرع، هذا من الأشياء اللي خلاص لا يُتكلم عنها وكأنه ليس من الظلم، وأن قضية الظلم بس قضية المال، لا، الظلم أعلى من كده.

حينما نفكر في حق الله تختلف الموازين

وأعلى الظلم "إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" لقمان: ١٣، فحينما يكون الإنسان يفكر في حق الله، يزن الأمور بموازين مختلفة، لما الإنسان يفكر في حق الله يزن الأمور بموازين مختلفة، حينما لا يفكر إلا في حق نفسه تجد الموازين تختل، "فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ"، ركزوا معايا في الآية دي، الناس اللي بتكذب بشرع ربنا، أو بتبدل شرع ربنا، أو بتُعرض عن شرع الله –عز وجل– كل دي الأقسام دي موجودة في الآيات، ناس بدلت الشرع أو أعرضت عن الشرع، افترى على الله أو كذب بالآيات، هؤلاء ينالهم نصيبهم من الكتاب، " حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا".

فالعلماء قالوا يعني إيه "يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ"، يعني إيه؟ فبعض الناس قال الكتاب إما اللوح المحفوظ، أو الكتاب اللي هو القرآن، لو اللوح المحفوظ يعني "أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ"، أي ينالهم نصيبهم من أقدار الله، لو قلنا الكتاب هو اللوح المحفوظ، واللوح المحفوظ فيه الأقدار، ركزوا معايا، الكتاب هنطلّع ثانيًا، ممكن الكتاب يبقى اللوح المحفوظ، يبقى ينالهم نصيبهم من أقدار الله اللي لسه هنعرف هي إيه دلوقتي، بعضهم قال الكتاب هو القرآن، أي ينالهم نصيبهم مما ذكر الله –عز وجل– في الكتاب في القرآن، إن دول لهم نصيب معين، طب إيه هو النصيب

أصلًا، يبقى الكتاب إما اللوح المحفوظ، فبالتالي يبقى الأقدار أو الكتاب هو القرآن فبالتالي تكون الوعود، هيصيبهم ما أخبر الله –عز وجل–.

طب إيه هو النصيب؟ بعض العلماء قال العذاب، إن اللي هيُشرِّع غير شرع الله –عز وجل–، أو هيُعرض عن شرع الله –عز وجل– لابد أن يصيبه جزء نصيبه من إما قدر الله من العذاب، أو من العذاب الذي أخبرنا الله به في القرآن، بعض العلماء قال طب إزاي طب ما في ناس بتظلم وتفتري وتغير الشرع وتُعرِض عن الشرع، وبتموت وبينزلش عليها العذاب، طب ده إزاي؟ المرة اللي فاتت اتكلمنا عن اللي بيحاول يتدخل في تفسير الآيات وينسبها للإعجاز العلمي، ويتعجَّل في ذلك، ده ممكن يخلي أن فيه ناس تشك في القرآن، من الأسباب اللي بتخلي الناس تشك في الدين، أن ممكن أحد الناس يتعجَّل ويقول برأيه أمر في القرآن وينسب الآيات إلى شيء من الإعجاز العلمي المعاصر، ثم يتبدل الإعجاز العلمي ده اللي موجود ده، ولم تصبح حقيقة، كانت نظرية، فالناس تشك في القرآن.

خطورة تفسير القرآن بشكل غير صحيح

الآن ممكن معانا في الآية أن ممكن أحد الناس يتعجَّل ويفسر القرآن بشيء يخالف الأقدار اللي الناس بتشوفها في حياتها، فيبدأ يشك في الدين، يعني ممكن واحد يطلع بقاعدة يقول أنا أفهم من الآية دي، أن كل مبدِّل لشرع الله لابد أن ينزل عليه العذاب قبل أن يموت، تخيل لو واحد طلع فهم الآية كده، وأنت قابلت كذا واحد واحنا ياما شوفنا يعني، ناس بدلت الشرع وماتت موتة عادية منزلش عليها العذاب، هتبدأ إيه، تبدأ الناس يحصلها إيه، تبدأ الناس تشك في الدين يقول لك إيه ده، هو ده إزاي ده حصل، هو مش القرآن بيقول كذا، يبقى إما هو في تفسير آخر للعذاب احنا مش فاهمينه، يا اما تفسير آخر للآية، واضح لأن الآية دي من الآية من المُشكلات، طيب حلوها إزاي؟

معنى كلمة نصيب في الآية الكريمة

قالوا كلمة "حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ"، بعض العلماء قال عشان أخرج أنا هختار أن نصيب معناها عذاب، وهختار أن كلمة الكتاب معناها العذاب المذكور في القرآن، وأن "جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ"، أن ده بيحصل يوم القيامة، وياخدوهم من المحشر يوم القيامة ويتسألوا يوم القيامة عن الشركاء، "أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ"، فبالتالي العذاب ما يلاقيه في سكرات الموت، وفي القبر، أن لحظة الموت هيتعذب، وفي القبر هيتعذب، ويوم القيامة يتسأل، فبالتالي العذاب هنا مش لازم يكون إيه، مش لازم يكون مُشاهد، خلاص، بعضهم قال لا، إحنا هنسيب كلمة "حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ"، على المعنى الظاهر أن دي لحظة الموت العادية، وإن كلمة نصيبهم معناها الأقدار المكتوبة لهم في اللوح المحفوظ، من الأرزاق والأعمار، وأن الله لن يعجِّل لهم العقوبة بمجرد الافتراء على الله الكذب.

الله –سبحانه وتعالى– لا يعاجل بالعقوبة

فربنا بيقول لك لما تلاقي أحد الناس افترى على الله كذبًا، اعلم أن الله لن يعاجله بالعقوبة، بل لابد أن ينال، وهذا من حلمه –سبحانه– أن ينال نصيبه من الأقدار، "أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ"، هيفضل ياخد الأرزاق، والأعمار بتاعته لغاية لما يموت، ونبدأ الحساب والعذاب يبدأ من بعد الموت، والمعنى ده انتصر له كثير من أهل العلم ولا سيَّما المتأخرين زي الإمام القاسمي وغيره، يبقى هيبقى معنى الآية، "أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم"، يعني الناس دي اللي غيرت الشرع وأعرضت عن الشرع، عادي جدًا هيفضل الأرزاق بتروح لهم، وبياكلوا وبيشربوا عادي قدام الناس.

الناس دايمًا معتقدة إيه أن مثلًا لو واحد طلع أنكر حاجه في الشريعة، طلع في برنامج في التلفزيون وأنكر شيء في الشريعة، الناس عايزة أن أول ما ينطق كلمة الكفر أو يغير شيء في شرع الله تنزل عليه صاعقة من السماء على الهواء مباشرة، وإلا يبقى ده، يبقى احنا نكذِّب القرآن، الناس عايزة التعامل كده، أن أي حد يغلط العقوبة تنزل عليه مباشرة، يقول لك لا يا عم ده الدين ده مش دين حق، إزاي ده بيغلط في الدين، النبي –صلَّى الله عليه وسلم– يقول: "ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدَّعون له الولد ومع ذلك يرزقهم ويعافيهم"[٣]، فمن معاني "أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ"، أي تستمر الأرزاق والأعمار كما هي إلى أن يموتوا ويبدأ الحساب، حتى إذا جاء، حتى إذا أي يستمر الرزق والأجل مستمر "حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا"، خلاص بقى انتهى الإمهال وبدأت العقوبة.

ندم الكفار بعد فوات الأوان

"جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ"، لن يتركون أحد، "قَالُوا"، وبداية العذاب، العذاب النفسي، إن يتقال له أن أنت كنت عايش في الوهم، "أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ"، هما فين؟ الناس اللي أنت كنت معظَّمهم بعيد عن ربنا، الناس اللي أنت سيبت ربنا عشانهم هما فين؟ "أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا"، اختفوا مش بس سابونا، ضل اللبن في الماء لما يعني مجموعة ميه كبيرة مثلًا، برميل ماء كبير وشوية لبن صغيرين تحطهم فيختفوا، فكلمة ضلوا عنا لم يعد لهم أي أثر، مش حتى قالوا لهم مع السلامة وهما ماشيين، لا اختفوا "ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ"، في اللحظة دي بيعترف بيقول لك أنا كنت غلطان، لكن "آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ" يونس: ٩١، ولاة حين مندم، لم يعد هذا هو وقت الندم.

حينما يأتي الأجل يبدأ الحساب

"وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ"، قال أي قال الله –عز وجل– لهم، بعد ما توفتهم الرسل وجاء يوم القيامة، واحنا قلنا من أساليب القرآن الانتقال السريع في المشاهد، " قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ" الأعراف: ٣٨، "ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ"، دي أمة احنا قلنا الآيات بدأت "وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ"، أمة كاملة أعرضت عن الشرع أتاها عذاب الله –عز وجل– ده تحذير لأهل مكة ولكل أمة تأتي من بعدهم، فربنا بيقول لهم لو أعرضتوا عن الشرع، "فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ" الأعراف: ٣٧، سواء بدلتوا الشرع، أو سبتوا الشرع زي

---

[٣] "ما أَحَدٌ أَصْبَرُ علَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، يَدَّعُونَ له الوَلَدَ، ثُمَّ يُعافيهم ويَرْزُقُهُمْ" صحيح البخاري

ما هو بس أعرضتوا عنه، عملتوا حاجة من الاتنين، ستستمر الأرزاق والآجال إلى أن يأتي الأجل، فإذا جاء الأجل بدأ العذاب، وبدأ الحساب، لستم الأمة الأولى التي تكفر، ولستم الأمة الأولى التي تُعرض.

"ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ"، خشوا النار، مجموعة كده تتجمع أمة، لأن أم الشيء، أمَّ الشيء أي قصده، فأمة مجموعة لها وجهة واحدة، كلمة أمة، لذلك الإمام هو الذي يُقصد، لما بنتخذ إبراهيم إمام نقصد وجهته نسير على هديه، فكلمة أمة يعني مجموعة لها وِجهة واحدة، فهذه أمة اجتمعت على رفض الشرع، ففي أمم كذلك، أعرضت عن شرع الله –عز وجل– ولكن كل أمة كان لها طريقة في الإعراض، منهم من أشرك، منهم من نسب الولد إلى الله، منهم من عبد الأصنام، منهم من أضاف إلى الشرك معاصي أخرى كالتطفيف أو إتيان الرجال كقوم لوط، أو غير ذلك، معاصي مختلفة فكل أمة تُحاسب.

يوم القيامة كل أمة تدخل مع الأمة التي تشبهها

فالأمم لو فيه أمة مثلًا معينة نسبت إلى الله الولد، وفيه أمة أتت بعدها في الزمان وقلدتها، فالأمة دي المتأخرة تدخل مع نفس الأمة السابقة في العذاب، أنتوا اللى نسبتوا لله الولد، طيب فيه ناس زيكم أمم قبلكم خشوا معاهم، وانتوا اللى نسبتوا لله –عز وجل– الآلهة أنتوا تخشوا مع الأمة دي، وانتوا اللي نافقتم وحاولتم تقفوا بين المسلمين والمشركين خشوا مع الأمة دي، كل أمة تدخل مع الأمة التي شابهتها، كل أمة تدخل مع الأمة التي أضَّلت لها هذا الضلال، يبقى الأمم بتتجمع، يبقى تاني تقسيمة الأمم يوم القيامة، أن هما بيتقسموا كل مثلًا اليهود، النصارى، المجوس، دي أمم، وداخل كل طبقة أمم حسب الفترات الزمنية، فمثلًا مجموعة في فترة زمنية معينة، نسبوا إلى الله الولد يخشوا النار، يجي مجموعة أيضًا نسبوا إلى الله الولد بس متأخرة عنهم في الزمن يخشوا معاهم في نفس المكان اللي في النار.

كل أمة تلعن أختها يوم القيامة

فربنا بيقول لهم خشوا مع الأمم التي فعلت نفس فعلتكم، خشوا معاهم في النار، فلما يخشوا معاهم في النار "كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا"، قال جمهور المفسرين أختها أي المشابهة لها في الدين، وده اختيار الطبري ومروي عن السلف، أختها أي إيه؟ المشابهة لها في الدين لعنت، "كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا"، الناس اللي زيهم في الضلال يخشوا في النار أول لما يقابلوهم يلعنوا، "يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا" العنكبوت: ٢٥، زي ما سيدنا إبراهيم قال في سورة العنكبوت، وهو بيحذر قومه، أن هذه المودة والفرح والرضا سينقلب عداوة يوم القيامة.

طيب ليه أو لما بتدخل بتلعن أختها؟ لأن هي الأمة السابقة هي اللي أصلت لها الضلال زي ما الإمام السُدِّي بيقول، هي اللي شرعت لهم الضلال، لذلك النبي –صلَّى الله عليه وسلم– أخبر عن عذاب أول من أتى بالشرك إلى جزيرة العرب، أن هو أول من سيَّب السوائب، ووضع التشريع الباطل، ده هو له عذاب شديد، وجده النبي –صلَّى الله عليه

وسلم- يجر قسوة وأمعاءه في جهنم، لأن هو أول من أدخل الشرك، فكل ما بتدخل الأمة تلعن الأمة السابقة، تقول لها أنتوا السبب، ويظل التلاعن بينهم والسب الشتم بينهم في جهنم.

يجب أن نشكر كل من بذل ليصل إلينا هذا الدين

"كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا" لما يجمعوا مع بعض "قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ"، قبل ما نكمل الحوار اللي بيحصل في أكتر من نقطة عايز أتكلم فيها، النقطة الأولانية: إذا كانت كل أمة من أهل الضلال تلعن الأمة السابقة بسبب أنها دلست عليها في الدين، وأفسدت لها الدين، فينبغي على كل أمة في الخير أن تشكر كل أمة سابقة نقلت إليها الدين وحفظت لها الدين، يعني ينبغي أن كل أمة الآن تسير على الهدى وعلى الحق، أن تشكر لأفعال السابقين، وأن لا تحمل في قلبها غل للسابقين، الذين بذلوا لنصرة هذا الدين، فجاء ووصل الدين إلينا، من أول جهد النبي -صلَّى الله عليه وسلم- والصحابة والتابعين وأتباعهم إلي يوم القيامة، نشكر لهم صنيعهم، لا أن نلعنهم، لأنها بذلوا وضحوا حتى يصل إلينا الدين، فإذا كانت هذه أخلاق أهل الضلالة، مع بعضهم البعض بسبب أنهم دلسوا على بعضهم، فلنشكر صنيع من قدم لنا وبذل حتى يصل إلينا هذا الدين.

أيضًا إذا كان الله -عز وجل- سمَّى العلاقة بينهم أخوة، فينبغي أن تكون أيضًا العلاقة بيننا وبين من يسير على نفس نهجنا وطريقتنا، أن هناك علاقة أخوة، ودي أيضًا بتشير إلى قضية التعصُّب اللي ذكرناها عند كل مسجد، إن مينفعش الأمر، لأن الملمح ده، جزاه الله خيرًا الدكتور حازم لما أشار إليه، المعنى ده أيضًا مكمل معانا في مسألة "وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ" الأعراف: ٤٣، ومسألة "لَّعَنَتْ أُخْتَهَا"، المعنى ده موجود أيضًا، وجدته موجود محور من محاور السورة، فينبغي أيضًا أن نتعامل أن من وسائل الشيطان هذا التفريق، وأن نلعن بعضُنا بعضًا.

أهل الضلال يتجمعوا جميعًا في جهنم -والعياذ بالله-

"كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا"، يبقى بيفضلوا يتجمعوا يتجمعوا على فترات زمنية، كل مجموعة عاشت في فترة زمنية معينة على نفس النهج من الضلال تدخل، فيشتموا الأمة السابقة، لغاية لما المجموعة كلها تتجمع في النار -والعياذ بالله-، خلاص أهل الضلال في المسألة دي، مثلًا المجوس اتجمعوا كلهم خلاص في النار، على كل الفترات الزمنية، خلاص اتجمعوا كلهم، حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا"، يقعدوا مع بعض في النار بقى، "قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ"، أخراهم يعني إيه؟ قالوا لأخراهم أي الأمة المتأخرة زمنيًا، أي اللي جت الأمة التي أتت في فترة زمنية متأخرة، وقال بعضهم أخراهم أي المتأخرين في المكانة، يعني إيه الأتباع، والأراذل، اللي هما مكنش لهم عقل فسواء متأخرين في الزمان أو في المكانة دول إيه؟ أخراهم، لأولاهم، أولاهم المتقدمين زمنيًا اللي شرَّعوا الضلال ده، اللي عملوا الضلال ده.

يجب أن نفكر في الشيء قبل أن نقبله

لو تفتكروا المرة اللي فاتت قلنا أن العقائد لها دورة زمنية معينة، فبيبدأ تأصيل العقيدة مش في ضلال واضح، فبتيجي أجيال، تأتي أجيال تلو أجيال، تلو أجيال، تلو أجيال، وتتغير عقائدهم، فيأتي جيل في قمة الكفر والشرك، واللي وضع أصل هذا الشرك وهذا الضلال متقدم عنه زمنيًا فيجي يوم القيامة يقول له أنت السبب، "قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ"، أولاهم حاجة من الاتنين إما المتقدم زمنيًا بس أول واحد شرَّع قضية الضلال، فالأجيال تلقته، بنتعرف على مسألة أن لازم كل جيل يأتي يفكر، مش يقبل كده وخلاص، احنا قلنا أن من أسباب الضلال "وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ" الزخرف: ٢٢، زي قالوا إيه "وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا" الأعراف: ٢٨، فاللي وجدوا عليهم أبائهم دول هيجوا في النار يقولوا لأبائهم أنتوا السبب.

عتاب أهل النار لبعضهم البعض

"قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ"، يبقى أولاهم إما حاجة من الاتنين، المتقدمين زمنيًا أو في المكانة، القادة المتبوعون، الذين كانوا يأمرون وينهون، دول واضح، يبقى أخراهم يعني إيه؟ أيوه بالضبط كده، الأراذل السفلة، الأتباع أو المتأخرين زمنيًا، المتأخرين زمنيًا، بعضهم قال المتأخرين زمنيًا أشبه بقوله –سبحانه وتعالى– "ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ" الواقعة ٣٩: ٤٠، فيه ناس جت متقدمة في الزمان، وناس متأخرة في الزمان، بعضهم قال لا متأخرين في المكان، لأولاهم، اللام دي "قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ"، مش كانوا بيتكلموا معاهم، لا قالوا عنهم لربهم، لأن الكلام مع ربنا، "قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا"، يعني بيتكلموا مع ربنا عنهم، واضح.

فيه ناس بتقول لك لأجل، لام العلة، أو لأجل، قالوا يا رب يعنون هؤلاء، ربنا، آلآن عرفتم أن لكم رب؟ ربنا، آلآن؟ جايين دلوقتي يقولوا يارب؟ "رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ"، هؤلاء إسم إشارة للقريب ما هما قاعدين مع بعض في النار، وكأنهم في منزلة واحدة في جهنم، هؤلاء لأن إسم إشارة للقريب، "هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا"، يارب الناس دي ضحكت علينا، احنا كان نفسنا نطيعك يارب، احنا كان نفسنا نوصل لك بس الناس دي هي اللي ضحكت علينا، "هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ"، لأن هما مع بعض في نفس المنزلة، "ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا"، هما مستغربين ده احنا الأتباع، ده احنا الأراذل، ده احنا اللي مكناش بناخد حاجة انتوا اللي كنتم بتاخدوا الأموال واحنا بننفذ وخلاص ومبيوصلناش حاجة، فتافيت، فإزاي نبقى مع بعض في نفس المنزلة إزاي؟

"هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ"، يارب، شوف الغضب والحقد اللي جواهم، مش يارب طلعنا من النار لا، "فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ"، الأتباع بيتكلموا عن القادة، المقلدين اللي قلدوا بدون تفكير أو نفذوا بدون تفكير يتكلموا عن القادة، يارب دول اللي ضيعونا، "هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ"، ربنا رد عليهم قال لهم إيه؟ متوقعين بقى الضعفاء أن ربنا يقول لهم إيه، آه أنتوا فعلًا كنتوا طيبين وكان نفسكم فعلًا، والناس دي وحشة، انتوا اطلعوا خشوا أنتوا الجنة والناس تنزل، لا، "قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ"، يعني إيه "لِكُلٍّ ضِعْفٌ"؟ أي لكلٍ منكم الأتباع والقادة، لكل عذاب يستحقه، ويُضاعف له العذاب، طب الأتباع والقادة اللي أضَّلوا للضلال.

لماذا يأخذ التابعين والمتبوعون عذاب الضعف في النار؟

احنا عرفنا أو منطقي نفهم هما هيضَّـاعف لهم العذاب ليه، لأن هما اللي أصَّـلوا، هما اللي أضـلوا ناس، هما اللي لما نشـروا الضـلال وخدوا العائد المادي ده، لأن دايمًا الضـلال بيجي من وراه عائد مادي، زي مكة، لما كانوا يحطوا الأصنام وتأتي بقرابين الأصنام كانوا هما اللي بياخدوا القرابين، يعني الأصنام مش بتصحى بالليل تاخد القرابين، كانوا هما بياخدوا هذه القرابين وبيضـحكوا على الناس، فهما اللي اسـتفادوا دنيويًا، هما اللي حققوا المكانة الدنيوية والسـؤدد، والشـرف، هما اللي أضـلوا الناس، فأنا ممكن، ممكن الإنسـان يتفهَّم ببسـاطة لماذا يأخذ القادة أو هؤلاء المتبوعون وهؤلاء السادة يأخذون ضعف في النار.

طب الأتباع الغلابة اللي اضَّـحك عليهم أو يظنون أنهم ضُـحك عليهم، معتقدين إن هما إضَّـحك عليهم، ليه ياخدوا ضـعف من العذاب؟ قضـية الأتباع والمتبوعين في القرآن مذكورة في سـور كتير جدًا، تحتاج إلى دراسـة، جزاه الله خيرًا الدكتور صـلاح الخالدي عمل بحث وإن كان صـغير شـويه اسمه الأتباع والمتبوعون في القرآن أنصح بقراءته، بحث قيِّم، لكن الأمر فعلًا موجود بكثرة في سورة غافر وسورة ص، وهنا سورة الأعراف، سورة سبأ، سورة البقرة، في أول سورة البقرة، "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا" البقرة: ١٦٥، موجودة في أكثر من موطن في القرآن قضـية الذين استُضعفوا والذين استكبروا، والحوار اللي بيحصل ما بينهم، هنا ربنا سمَّاهم أخراهم وأولاهم، مسماهمش مستضعفين، ومستكبرين.

لأن هنا القضية أجيال بتأتي ورا أجيال بيحصل فيهم ضلال، وأن هدف الشيطان إضلال كل الأجيال القادمة، فجه التعبير بكلمة أخراهم أولاهم مش قضية استضعاف، طيب "قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ"، طب احنا عرفنا لماذا يُضاعف العذاب للقادة، طب لماذا يُضاعف العذاب لهؤلاء الأتباع، لأخراهم دول، لماذا؟ قال بعض أهل العلم: " لأنهم لم يشكروا نعمة الله في العقل، وفي وصول الرسالة إليهم، لم يتفكروا"، "وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ" الملك: ١٠، وأيضًا بدون هؤلاء المستضعفين لا يوجد قادة، المثل المصري الشهير اللي بيلخص القضية كلها، قال لك يا فرعون إيه اللي فرعنك، قال ملقتش حد يلمني، هي الناس بتسمع الكلام، هو حد يلاقي دلع وميدلَّعش، فهو بالضبط كده.

انتوا مش فاهمين، لذلك أحد أهل العلم، فيما أذكر هو ابن عاشـور، بيقول "وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ" ، أن الخطاب للا تعلمون للمسـتضـعفين، بيقول لهم: أنتم لا تعلمون مدى جرمكم، وكيف تسـببتم أنتم في إضـلالهم، مش بس هما اللي أضـلوكم، أنتم أيضًا تسببتم في إضلالهم، لأن انتوا شـجعتوهم إن هما يستمروا، انتوا اللي خلتوهم يستمروا في المكان ده، أنتم أعطيتوهم السؤدد والشرف والمكانة والمال فكيف لا يستمروا؟ فكنتم من أسباب إغوائهم ولكن لا تعلمون ذلك، لذلك يُضاعف لكم العذاب، "قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ"، كله هيتعاقب على حسب جريمته.

صور تخاصم أهل النار –والعياذ بالله–

"وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ" الأعراف: ٣٩، أولاهم بقى قاعدين في النار وسامعين إيه؟ أخراهم، الأتباع، والأراذل بيقولوا لربنا يارب ضاعف لهم العذاب، ودول قاعدين، فأول لما الرد جه أن كلنا زي بعض، فأولاهم بص لأخراهم كده، "فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ"، إما لو بيتكلموا عن الدنيا، يعني السادة بيقولوا للأتباع، بيقولوا لهم أنتوا هتمثلوا، أنتوا هتعملوا نفسكم كنتم عايزين دين؟ احنا استمتع بعضنا ببعض، احنا أصَّلنا الضلال وانتوا كنتم عايزين ضلال، طب ما كانت فيه ناس كويسة مرحتوش ليه مشيتوا مع الناس الكويسة.

لذلك أحد الحوارات اللي حصلت في سورة ص في النار، لما المستضعفين خلاص فُصِل الأمر بينهم وقالوا برضه يارب " مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ" ص: ٦١، في سورة ص، "وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ" ص: ٦٢، المستضعفين بيقولوا إيه ده، القادة كانوا بيقول لنا على ناس أشرار هي مش الناس دي المفروض تبقى في النار معانا، مش كانوا بيقولوا لنا دول أشرار، دول أشرار، هما الأشرار دول مش المفروض يبقوا في النار ولا إيه، مش موجودين في النار ليه؟ "مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا"، كنا فاكرينهم أشرار، "كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ * أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا" ص ٦٢: ٦٣، يا ترى احنا كنا بنتريق عليهم وهما طلعوا صح، ولا هما في النار بس احنا من كتر العذاب مش شايفنهم " أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ"، "مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ".

فهو أحيانًا يقولوا طب ما أنت عارف أن كان فيه ناس مخالفانا ممشيتش معاهم ليه، أنت اللي كنت حابب تبقى معايا، فمتترسمش وتقول أصل أنا كان نفسي أبقى كويس " فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ" الأعراف: ٣٩، أي لم يكن لكم فضل دينٍ في الدنيا، أو " فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ"، ربنا مش هيفضلكم عننا وهنبقى كلنا متعذبين مع بعض في الآخرة، "فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ"، إما القادة بيقولوا للأتباع فذوقوا، أو ربنا بيقول للاتنين أن كل واحد اكتسب شيئا، كل واحدا اكتسب شيئا فسيُعاقب عليه، فذوقوا بما، باء السببية "بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ"، كل واحد أنت خدت السؤدد والمكانة وأنت استفدت من وجوده معاك، وأنتوا الاتنين استمتعتوا ببعض، "فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ"

جزاء الاستكبار عن عبادة الله

"إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا" الأعراف: ٤٠، تاني، تكذيب الآيات والاستكبار عنها، المعنى المتكرر معانا طوال السورة، "لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ"، لحظة الموت لما يجي يموتوا "حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ" الأعراف: ٣٧، تطلع الروح، "لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ"، كما كانوا مستكبرين عن دخول الدين، وكانوا لا يدخلون الدين، ولا يدخلون المسجد حتى يلج الجمال في سم الخياط، كذلك "لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ

الْخِيَاطِ"، كان عنده كبر واخد قرار أن لو الدنيا اتقلبت مش هيخش الدين، مش هيخش المسجد، مش عايز، مستكبر رافض، فكذلك يُعامل بنفس المعاملة.

الفرق الكبير بين معاملة الله مع المؤمن والكافر

طب أنت مش كنت مستكبر، والكبر في نوع من العلو والارتفاع، أنت لن يُسمح لك بدخول السماء، "لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ"، وتُلقى في الأرض و–العياذ بالله– فإذا صعدت روحه الحديث المشهور البراء بن عازب، صعدت روح الكافر و–العياذ بالله– والفاجر والمنافق، إذا صعدت روحه، لا تُفتَّح لها أبواب السماء وتُلقى من السماء، أما روح المؤمن تُفتَّح له أبواب السماء، لأنه كان يُقبل على الله عز وجل، وطول حياته المؤمن كانت تصعد منه الأعمال إلى السماء "إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ" فاطر: ١٠، أما هؤلاء لم يكن يصعد لهم عملٌ صالح، فروحه الآن تسير في طريق غريبة، شاذة، طريق لم تصعد لها أعمال من قبل.

أما المؤمن فروحه تصعد في نفس الأماكن التي كانت تطلع منها الطاعات، على طول المؤمن كانت طاعات شغالة، وكلم طيب بيطلع، فروح المؤمن تطلع في سهولة ويسر، خلاص أعمال صالحة بتطلع منه، أما الكافر و–العياذ بالله– هو لم تصعد منه أعمال، فهل تريد روحك أن تصعد الآن؟ لا تصعد، كنت ملتزمًا بالأرض فتكون روحك في الأرض، "أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ" الأعراف: ١٧٦، فتُلقى روحه في الأرض –والعياذ بالله–، "لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ"، أسلوب تهكُّمي، أنت ممكن ولا يدخلون الجنة حتى فيتفتكر أن فيه أمل، فيقول طيب ماشي امتى أدخل الجنة، "حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ".

ما هو السَم؟

الجمل كتير من أهل العلم قال اللي هو الجمل المعروف، وده مروي عن ابن مسعود كثير من الصحابة، حتى كان بعضهم بينص عشان ميتفهمش أن الجمل له معنى تاني، يقول الجمل ذو القوائم الأربع، زوج الناقة، كانوا بينصوا على ده، ده كان رأي ابن مسعود ومدرسة ابن مسعود وكثير من السلف، "سَمِّ الْخِيَاطِ"، سَم اللي هو خرم الإبرة، الخياط اللي هو الإبرة اللي بتخيط، سُمَّ لأن ريح السَموم هي التي تدخل في كل الجسم، والسِم سُمي ذلك لأنه بيتغلغل، في كل جزئية من الجسد، فالسَم، أو بيسموه الخرق اللي هو الثقب الصغير، لذلك لما يقولوا إيه فلان خرِّيت أي يستطيع أن يسير في الأماكن الضيقة، فالسَم هو هذا الثُقب الضيق للإبرة.

فبنقول سَم الخياط، ثقب الإبرة، تخيل مشهد محاولة دخول الجمل، الجمل ده أكبر حيوان عند العرب، هم يسيرون في الصحراء، أكبر حيوان يرونه الجمل، فالعربي حينما يسمع هذه الآية ويتخيل هذا المشهد، في محاولة يائسة بائسة من الجمل للدخول في ثقب الإبرة، وهو ينظر إلى ثقب الإبرة ولا يستطيع أن يدخل ولو بشبر واحد، هذا هو مشهد الذي

يحاول أو يظن أن له أمل في الجنة بعد أن كذَّب بآيات الله واستكبر عنها، "إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ" الأعراف: ٤٠.

معنى آخر لكلمة سَم الخياط

روي عن ابن عباس أيضًا، عشان لو سمعتوا القول ده، إنه كان بيقرأ قراءة شاذة خارج العشر المتواترة، "حتى يلج الجُمَّل" الجُمَّل، بتضعيف الميم، أو بتخفيفها الجُمَل، لكن الأشهر أن هي الجُمَّل في سَم الخياط، وده حبل السفينة، أو الحبل الغليظ، فأيضًا المشهد أن هو الحبل الغليظ في شدة غلظته وعظمه، لا يدخل أيضًا، وده مروي عن ابن عباس، ومدرسة ابن عباس كلها، مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، القول ده مروي عنهم، لكن الأشهر كما قلت هو، لأن احنا بنقرأ القراءة الجمل، وهي القراءة المتواترة، اللي هو الجمل المعروف، الحيوان المعروف، وأيا كان الخلاف لا يضر، لأن الغرض هو الاستحالة، وأنه مثل عربي يُضرب للاستحالة.

"حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ"، كما يقولون سوف أعطيك إذا شاب الغراب، الغراب بقى لونه أبيض، مثل بيُضرب للاستحالة، "حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ"، كل مجرم وأعرض، وأيضًا هناك إشارة إلى أن التكذيب بالآيات والاستكبار عنها، هي جريمة، هي من أشد الجرائم، فسمَّاه الله –عز وجل– مجرم، فإعادة استعمال مصطلحات القرآن في أوضاعها الحقيقية، يعني أن مُغير الشرع ومُبدِّل الشرع، والمعرض عنه والمستكبر عنه هو مجرم، لأن الذي يريد يحاول أن يصرف الشمس عن الناس، أو يصرف النور عن الناس هو مجرم، فكذلك الذي يريد أن يصرف الوحي عن الناس، هو أشد إجرامًا، الذي يريد أن يصرف الشرع عن الناس، ويُبعد الوحي عن الناس، هو أشد إجرامًا، فسمَّاه الله –عز وجل– هنا مجرم.

الجزاء من جنس العمل

وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ * لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ" الأعراف ٤٠: ٤١، جهنم مهاد من أسفل منهم، ومن فوقهم غواش و–العياذ بالله– كما أحاطوا بالناس وأرادوا أن يمنعوا عنهم الدين، فكذلك تحيط بهم جهنم، وكما أن الشيطان أخبر في أول السورة أنه سوف يحيط بالناس "مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ" الأعراف: ١٧، ولم يذكر فوق وتحت، هنا من فوقهم غواش ومن تحتهم غواش، فكما يفعل شياطين الإنس والجن، بإحاطة الناس حتى لا يصل إليهم الدين، فتكون من عقوبتهم في النار و–العياذ بالله– أن تحيط بهم النار، "لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ"، أي من أسفل منهم، "وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ "، ظلموا الناس وظلموا أنفسهم بإبعادهم عن الوحي.

إذا بذلت ما في وسعك سيرضاه الله منك

"وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ" الأعراف: ٤٢، أي أن هناك بالرغم من وجود القادة، من وجود السادة، من وجود فريق المضلين، من وجود كل هذه الشبهات والشهوات، إلا أنه بالرغم من ذلك ظهر فريق لأهل الإيمان وثبُت على ذلك، وهذا الفريق كان بوسعه النجاة، "الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا" الأعراف: ٤٢، عشان محدش يقول طب أنا أعرف إزاي طب ما هما اضَّحك عليهم، طب ما أنا ممكن يضَّحك عليا، لو بذلت ما في وسعك فقد فعلت ما يرضاه الله منك.

لذلك ربنا بيقول هنا "الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ"، أي بالرغم من وجود هؤلاء المتبوعين والقادة، وجود الأتباع الأراذل، وجود انتشار الشبهات، وانتشار الشهوات، كان هناك فريق من أهل الإيمان، "إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا" المؤمنون: ١٠٩، أين أنت منهم؟ ثم يخبرون الله –عز وجل– أن هذا بوُسعك، طالما ربنا اختارك أن تكون موجود في هذا الزمان أنت تستطيع، "يبتلى المرء على قدر دينه"[٤].

"وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ"، هذه الجملة المعترضة لتسكب في قلبك الطمأنينة، تقول طب أنا معرفش لا أستطيع، لا ربنا بيقول "لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا"، وكثير من أهل العلم، ومروي عن سيدنا معاذ بن جبل، أن الله – عز وجل– لم يقل "لا نكلف نفسًا إلا جهدها"، يعني مش مطلوب أنك تجيب آخرك في الجهد، لا الوُسع، غير الجهد، "وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ" التوبة: ٧٩، سورة التوبة، إنه كان بيحتطب وهو معندوش المال وبيجتهد وبيتعب عشان يجيب قليل من المال، إنما الوُسع أن تفعل الفعل وأنت في نوع من الأريحية، مش في آخر الجهد، أنت مش مطلوب منك أقصى شيء، أنت لو فعلت حتى المتوسط تنجو.

"وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ "، أنت تقول الأمر في وسعي، لذلك مروي عن معاذ –رضي الله عنه– أنه قال المقصود اليسر لا العسر، يسرها لا عسرها، "لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا"، أي ما يستطيعه، هذه الجملة المعترضة هامة جدًا، إن ممكن سياق الآيات تخلي واحد يخاف، يقول طب أنا ممكن أكون مضحوك عليا، طب أنا معرفش، فهنا ربنا –سبحانه وتعالى– بيقول لك ارجع اقرأ الآيات تاني، وشوف أنت بتثق في مين تسمع كلام مين، ما هو خطابهم؟ هل يتكلمون بالآيات؟ هل تتبع الرسل، هل تتبع من يقص عليك الآيات، أم تتبع أهل الضلال وأهل البغي وأهل الظلم، أين أنت في طريق أي تسير؟ "لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ".

أهل الإيمان دائمًا يحاولوا تقليل الخلافات

هؤلاء أصحاب الجنة لما دخلوا لا يعني أنهم من أصحاب الجنة، أنه ليس بينهم خلاف، كان بينهم خلاف، كان بينهم بعض الاختلافات، ربنا –سبحانه وتعالى– أمرنا شرعًا إن احنا نقيم وجوهنا عندك كل مسجد، ان احنا منتعصَّبش

[٤] "أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ ، ثم الأمثلُ فالأمثلُ ، يُبتلى الرجلُ على حسَبِ دينِه ، فإنَّ كان في دينِه صُلْبًا ، اشْتدَّ بلاؤه ، وإن كان في دينِه رقةٌ ابْتُلِيَ على قدْرِ دينِه ، فما يبرحُ البلاءُ بالعبدِ حتى يتركَه يمشي على الأرضِ وما عليه خطيئةٌ" صححه الألباني.

لحزب أو لجماعة، أو لمسجد معين، نتعصب إليه، ده أمر الله الشرعي، لكن أمر الله القدري أن سيظل بيننا خلاف، وندافع هذا بهذا، ندافع الشرع بالقدر، وندافع القدر بالقدر، فنحاول قدر المستطاع أن نقلل هذا الخلاف، إنما لن ينتهي وسيستمر هذا الخلاف.

أيضًا كان في درس، أظن الدرس السادس سورة الأنعام اتكلمت درس كامل عن قضية الخلاف، في قوله –سبحانه وتعالى– "أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ" الأنعام: ٦٥، وأن الأمر بيمر بثلاث مراحل اللبس ثم الشيع، ثم إذاقة البأس، إن احنا الأول بيحصل لبس في الأمور فنتشيَّع ثم نذيق بعضنا البأس، بدل ما نذيق بأسنا لغيرنا، نذيق نحن بعضنا بأس بعض، وأن الأمر بيمر بثلاث مراحل، والأمر موجود بالتفصيل في سورة الأنعام، فسيظل بيننا خلاف، والخلاف وضعه الله –عز وجل– بيننا كنوع من أنواع البلاء، فالذي يظن أن كل خلاف سيُرفع هذا واهم لن يحدث، فالبلاء الخلاف أشبه بوضع الشهوة في الإنسان ستظل موجودة، هو يحاول أن يضعها في الحلال، أن يكبحها، أن يصوم، أن يغض البصر، فكذلك الخلاف.

ماذا نفعل عند الخلاف؟

ماذا نفعل عند الخلاف؟ ألا نحسد بعضنا، ألا نحقد، ألا نطعن بعضنا في ظهر بعض، أن لا يطعن أحد في ظهر أخيه، أن نتغاضى أن نتغافل، أخلاق الخلاف، وأن وجود الخلاف بيترتب عليه طاعات عظيمة جدًا، يعني دايمًا الإنسان، دايمًا الإنسان له قصر نظر، يعني يقول لك إيه، طب ليه ربنا مخلاش كل النصوص قاطعة، في حين أن وجود النصوص بهذه الطريقة أنشأ علوم وعلماء وفقه واجتهاد، وبذل وتضحية لفهم مراد الله –سبحانه وتعالى–، كل هذه الطاعات كانت ستختفي لو كان الدين جي زي ما هو عايز، فأيضًا اللي معتقد أن كان الدين كله يبقى حاجة واحدة ومفيش خلاف، فيه كمية طاعات بتظهر في الخلاف لا يعلمها إلا الله، تضغط على نفسك عشان أخوك، وتكسر نفسك لأخيك، وتتغاضى وتتغافل، وأن الأمر محتاج حساب للأولويات، هل أنت الآن تغضب من أخيك هو ده الأولوية.

أنت معك عشرة أسهم توجه تسعة منهم في صدر أخيك وفي ظهره وتعتقد أنك تدافع عن الدين، ولا يبقى إلا سهم واحد تتكاسل أن تضربه في عدوك، ثم تقول أنا أحامي عن الدين.

ينزع الله –سبحانه وتعالى– الغل من الصدور قبل دخول الجنة

فالقضية أن الخلاف سيظل موجود، وسوف يدخلون الجنة وهذا الغل موجود، إلى أن يُنزع قبل أن يدخلوا الجنة، إلى لحظة الدخول ربنا –سبحانه وتعالى– بيقول "وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ" الأعراف: ٤٣، هذا الغل الموجود إن ممكن إنسان طائع ويكون في صدره هذا الغل، لذلك بعض أهل العلم حاول يهرب من المعنى ده، وقال لا المقصود الغل في الآخرة مش في الدنيا، وكلمة غل هنا المقصود بيها الحسد، أي لا يحسد بعضهم بعضًا لتفاوت درجاتهم في الجنة.

بعض أهل العلم قال "وَنَزَعْنَا مَا فِي صُـدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ"، أي حتى لا يحسـدوا بعضـهم إذا دخلوا الجنة لأن فيه تفاوت، فعشـان الجنة دار نعيم، وميشعرش بنوع من الحسـد، أنه يجد أن أخاه قد سبقه في الجنة فيُنزع هذا الغل، وقال بعضـهم لا، هذا ما كان بينهم في الدنيا، والآثار المروية عن على بن أبي طالب بينه وبين الزبير بن طلحة وإن كان في سـندها كلام إشارة إلى ذلك، أن هذه الخلافات حتى تستقر الجنة، وكأن الجنة لا تكتمل بوجود هذا الغل بيننا، فمن أراد جنة الدنيا، فلينزع هذا الغل من صـدره تجاه إخوانه، من أراد جنة الدنيا فلينزع هذا الغل، ومعنى الغل من معاني الغل، أنه الشيء الخفي الدقيق اللي بيدخل في المسام ويتغلغل، حتى بيقولوا كلمة يتغلغل جاية من غل، يقول لك شيء تغلغل، بلغ في صدرك.

الغل يقيد صدرك

أن الأمر بيظل يزداد ويزداد ويتسرب في صدرك وأنت لا تشعر، حتى إذا كمن في صدرك هذا الغل واستقر في صدرك –الغل من معانيه القيد– أصـبح هذا الشـعور بيقيدك أنك مش قادر تحب أخوك، مش قادر تخدم أخوك، مش قادر، تجد أن في صدرك غيظ وحقد، لا وغضب، أخوك يحتاج إلى مساندتك وأنت لا تستطيع وأنت مستغرب ليه مش قادر ليه، لأن فيه قيد في صـدرك، هذا القيد وهذا الغل لم يظهر مرة واحدة، بل ظل يتمكن في القلب خطوة خطوة، ويتغلغل زي السَموم كده، هو بيدخل أيضًا كذلك بنفس الطريقة، ويتغلغل، واحد بيقول لك من غل شعره بشيء، بدُهنٍ أي بلغ أصول الشعر، يعني عارف أنت لما تيجي تضرب جل، وتقعد عايز تجيب بقى الجل إيه، أنت هتقعد في الكلية كتير فتقعد تدهن وتخليه يصل إلى شعراية شعراية في أصول الشعر، هنا نقول غل شعره بالدُهن.

الغل يتغلغل في شعاب القلب

فالغل بيفضل يتمكن في شعاب القلب والصدر، حتى يتمكن منه ثم يصبح قيد، لذلك جه معاه كلمة مش ورفعنا، جه معاه كلمة ونزعنا، لتمكنه من القلب، احنا اتكلمنا النزع أن بيبقى شـيء متمكن، أو في مضـاد وعكس، زي "يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَـهُمَا" الأعراف: ٢٧، "وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَـاءُ" آل عمران: ٢٦، ونزعنا ما في استقر في الصـدر، "مَا فِي صُـدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ"، وما هذه مُبهمة أن قد يكون غل عظيم، وقد يكون أيضًا شـيء بسـيط، تأتي للكثرة وتأتي للقلة، "وَنَزَعْنَا مَا فِي صُـدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ"، ومن لما بتأتي في سـياق نفي وهي نكرة، أي لا يبقى في صـدورهم أي غل، فيلقون بعضهم في الجنة لا يتذكرون شيئًا أبدًا تجاه بعضهم البعض. لا يذكرون إلا الحب والمودة والأُلفة.

الفرق الكبير بين أهل الجنة وأهل النار

عكس، "وَيَلْعَنُ بَعْضُـكُم بَعْضًـا" العنكبوت: ٢٥، هنا في معاكسـة، هناك "كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا" الأعراف: ٣٨، وهنا "رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَـبَقُونَا بِالْإِيمَانِ" الحشـر: ١٠، "وَنَزَعْنَا مَا فِي صُـدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ"، انظر إلي تواضـعهم، يحمدون الله –عز وجل– أنهم لم يفعلوا إلا ما وفقهم الله –عز وجل– له، شـوف هنا "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ

لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ"، وقارنها ببما أغويتني اللي في أول السورة، شوف الشيطان هناك لما غلط، قال يارب أنت اللي أغويتني، ودول في آخراهم قالوا يارب هما اللي ضحكوا علينا وهؤلاء نجحوا وبذلوا وفازوا وينسبون الفضل إلى الله – سبحانه وتعالى–.

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ"، هناك أعرضوا عن الرسل الآيات دي كلها جاية من أول "يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي" الأعراف: ٣٥، فدول أعرضوا عن الرسل وهؤلاء بيعترفوا أن الرسل جاءوا بالحق فلما استمعنا إلى كلام الرسل بلغنا هذه المنزلة، "وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ"،كان الشيخ يعقوب هنا له لفته جميلة أوي، بيقول: "إذا قال العبد بفضلك قال الله بعملك، وإذا قال العبد بعملي قال الله بفضلي"، إذا قال العبد بفضلك يعني لولا "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ"، بيقول يارب ده بفضلك أنا معملتش حاجه، فربنا يقول لا أنت عملت "بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ".

وإذا قال العبد بعملي –أثر مروي في الإسرائيليات "قال الله –عز وجل– لملائكته أدخلوا عبدي الجنة بفضلي فقال يارب لا بعملي" الأثر طويل في الإسرائيليات أن وزنوا نعمة العين فطاشت بكل ما فعل، فقال بفضلك يارب– فالشاهد أن العبد يتواضع لله –سبحانه وتعالى–، ويقول دائمًا بفضلك يارب، والله شكور، الله رحيم –سبحانه وتعالى–، "وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ"، اسأل الله –عز وجل– أن يرزقني وإياكم الجنة وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله وتفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36